تاريخ الإرسال: 2016/01/20 - تاريخ القبول للنشر: 2016/05/19 تاريخ النشر: 2016/06/28

البنية النظرية للخطاب والنص

سعد بولنوار

(جامعة الأغواط)

يعتبر الحديث عن الخطاب أو الخطابات من الأحاديث المهمة، لأن تناول مفاهيمه يساعد على بناء التصور الأمثل لطبيعة التواصل البشري ومحاصرة الكم الأوفى من خصائصه و قوانينه التي هي دأب كل باحث في هذا العصر، ومن هذا المنظور تتوجه كل الأبحاث إلى محاولة الإلمام بما توفر من مدونات خطابية، حتى أصبح الخطاب خطابات، و صار بالإمكان أن نسمي كل ما يدخل في إطار التواصل البشري نوعا من أنواع الخطابات، سواء كان ذلك أصواتا ملفوظة أو إشاراتٍ أو كتابات أو رسوما أو صورا، ويمكننا فضلا عن ذلك، أن نعتبر السيناريوهات الفيلمية نوعا من أنواع الخطابات، إذاً هناك نوع من الهروب من إمكانية التحديد عند أي محاولة للتصنيف، نظرا لتناسل الأنواع في الخطابات، كما أننا نلاحظ أن هذا الاختلاف في وجوه التناول للمرامي التصنيفية مرده أيضا لاختلاف وجهات نظر النقاد و الباحثين و منظري تحليل الخطاب، غير أن أي مقاربة إجرائية من قبل المحللين تحدث آليات معينة تتشاكل في بعض، و تتباين في البعض الآخر، بحسب متطلبات المدونة الخطابية، و للولوج إلى الأبعاد التي هي من حدود الخطاب، لابد أولا أن نمر عبر مفهوم الخطاب حتى تتضح لنا الصورة أكثر.

1/ مفهوم الخطاب :

في اللغة :

يقول الجوهري في معجمه الصحاح "خطب : الخَطبُ: سبب الأمرِ، نقـول: ما خطبـك. و خطبت على المنبر خطبةً بالضم. و خاطبه بالكـلام مخاطبة وخطابا. و خطبت المرأة خِطبةً بالكسر، واختطب أيضا فيهما . والخطيب: الخاطب، و الخطيبي: الخطبة "[1] .

ويقول الفيروزآبادي في القاموس المحيط «الخطب الشأن، والأمر صَغُر أو عَظُم، ج:خطوب . و خطب المرأة خطبًا و خطبة و خطيبي، بكسرهما، و اختطبها، و هي خطبه و خطبته و خطيباه و خطيبته، و هو خطبها، بكسرهن، و يضم الثاني، ج: أخطاب... وفصل الخطاب: الحكم بالبينة، أو اليمين، أو الفقه في القضاء، أو النطق بأما بعد»[2]

وورد لفظ الخطاب في المصباح المنير للفيومي بما معناه :»(خاطبه) مخاطبة وخطابا وهو الكلام بين متكلم وسامع ومنه اشتقاق الخطبة بضم الخاء وكسرها باختلاف معنيين فيقال في الموعظة خطب القوم وعليهم من باب قتل خطبة بالضم وهي فعلة بمعنى مفعولة نحو نسخة بمعنى منسوخة وغرفة من ماء بمعنى مغروفة وجمعها خُطَب مثل: غرفة وغرف فهو خطيب والجمع الخطباء وهو خطيب القوم إذا كان هو المتكلم عنهم.» [3]

– الخطاب في التراث العربي واليوناني :

تنوع مفهوم الخطاب في التراث العربي تنوعا واضحا، ففي التعبيرات العربية القديمة نراه يحمل مدلول الرسالة، فيقال: هذا خطاب فلان لفلان، ومرة أخرى عُبر به عن الخطبة التي يلقيها الخطيب، "ويرتبط الخطاب بالخطابة في النصوص التراثية، فالخطابة في ميدان النثر بمنزلة القصيد في ميدان الوزن، فهي الإطار المثالي الذي تتجلى فيه البلاغة النثرية، ومن ثم فإن الجاحظ إذا تكلم في بعض النصوص عن الخطابة والسياق، فهو يقصد البلاغة، و لم يذكروا بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة، وليس هذا معناه أنه لا يفرق بينهما، و لكنه يتصور العلاقة بينهما على هذا الشكل ليس أكثر... ولو أردنا التعبير عن هذه العلاقة، لكان الشكل الآتي، هو الكاشف عن العلاقة التي تجعل البلاغة جنسا، و الخطابة نوعا:

(كل الخطابة = البلاغة) أما (كل بلاغة ≠ الخطابة) "[4]، وقد دلت أيضا على قوة الإدراك.. إلخ» إذ ورد في القرآن الكريم، بصيغ متعددة، منها: صيغة الفعل في قوله تعالى: (و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) [سورة الفرقان آية 25]، والمصدر في قوله تعالى : (رب السموات و الأرض لا يملكون منه خطابا) [سورة النبأ آية 78]، وفي قوله تعالى عن داود عليه السلام:(وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) فقد عد الرازي صفة فصل الخطاب، من الصفات التي أعطاها اللّه تعالى لداود، معتبرا إياها من علامات حصول قدرة الإدراك والشعور... لأن فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال، ويحضر في الخيال، بحيث لا يختلط شيء بشيء» [5] .

أما تصورها عند اليونان فهي شيء آخر «إذ يرتبط الحديث عن الخطاب بالخطابة التي فصلها أرسطو طاليس عن الشعر، وقد قال عن مكوناتها: أما اللاتي ينبغي أن يكون القول فيهن على مجرى الصناعة فثلاث: إحداهن الإخبار من أي الأشياء تكون التصديقات والثانية ذكر اللاتي تستعمل في الألفاظ، و الثالثة أنه كيف ينبغي أن ننظم أو ننسق أجزاء القول. و نستخلص من مقولة أرسطو عناصر الخطابة الآتية :

* عنصر الإقناع أو البراهين .

* الأسلوب أو التنظيم أو البرهان .

* ترتيب أجزاء القول . "[6]

الخطاب في الاصطلاح :

المصطلح في عرف البحث العلمي هو ما تم الإجماع على حدّيتِه ، بحيث يكون مفهومه جامعا مانعا، وفي الحقيقة لا يحصل هذا المفهوم إلا بتظافر عدد من التعريفات من مناح عديدة، إذ أن التعريفات تشكل أرضية لمفهوم بعينه، ومادام أن الأمر يتعلق بمفهوم الخطاب فإن مفهومه تأرجح "بين النسخ عن الغرب، و اتخاذ مفاهيمهم أساسا للحكم على النص العربي، و بين الانطلاق من المفهوم الغربي وصياغة مفاهيم جديدة تتساوق والنص العربي المدروس. وفي الحالتين يصار إلى استبعاد الأساس العربي الذي رسم حدودا لمفهوم الخطاب لا تبعد في جوهرها عن المفهوم الغربي الحديث له"[7]، لذلك «يجب أن نفهم الخطاب في مدلوله الأوسع، باعتباره كل تلفظ يفترض متكلما و سامعا، و عند الأول قصد التأثير في الثاني بطريقة معينة»[8]، و لا بأس في أن نحاول طرح عدد من التعريفات الاصطلاحية على النحو التالي :

يَعُد بعض الباحثين كلام دي سوسير عن الكلام كلاما يقصد في معناه الخطاب، مثل ما نجد في حديث رابح بوحوش: « تعود نشأة الخطاب الأولى إلى (فرديناند دي سوسير) صاحب كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة)... الكلام: هو نتاج فردي كامل يصدر عن وعي و إرادة، و يتصف بالاختيار الحر، و حرية الفرد الناطق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تتجلى في استخدامه أنساقا للتعبير عن فكره الشخصي.. «[9]

و يقول سعيد يقطين : « لتحديد الخطاب و تحليله التحديد و التحليل المقبولين علينا أن نحدد الاتجاه الذي ننتمي إليه و المجال الذي نشتغل فيه وفق أسئلة ابستيمولوجية محددة. نجيب من خلالها عن هذه الأسئلة: لماذا هذا التعريف؟ ماهي الأدوات و الإجراءات المناسبة؟ إلى ماذا نبغي الوصول؟ وكيف؟... «[10] .

هذه النتيجة الاستفهامية التي مؤداها توخي التعريف و التحديد ، توصل الباحث إليها من خلال طرحه لعديد التوجهات التي حاولت أن تلامس الخطاب مفهوميا، بتناوله الطرح اللساني الذي يتبناه زيليغ هاريس، والذي ذكر الباحث أنه أول من حاول وضع تحديد عام للخطاب بانطلاقه من لسانيات الجملة إلى لسانيات الخطاب، فيقول هاريس في تعريفه للخطاب بأنه «ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية و بشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض»[11] ، ثم يعاين سعيد يقطين فعل التلفظ عند إميل بنفنست الذي يعرف الخطاب «باعتباره الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات و عمليات اشتغاله في التواصل»21 ، بعدها يتكلم يقطين عن توجه فرانسوا راستيه وضرورة قيام علم خاص بالخطابات، ويتناول بعد ذلك مفهوم الخطاب عند مانغينو maingueneau الذي يضيف مقام التواصل إلى خاصية الإنتاج والدلالة، و جون كارون، و موشلر j.moeshler، وستابس stubbs.

ونجد باحثا آخر و هو فرحان بدري الحربي يجمع مقولات مهمة قيلت في مفهوم الخطاب محاولا اِستيفاء وجوه التطور الحاصل في المفهوم شأنه في ذلك شأن سعيد يقطين، يقول:

« – الخطاب مصطلح مرادف للكلام parole، بحسب رأي (سوسير) اللساني البنيوي، وهناك خطاب أدبي بحسب رأي (موريس).

– الخطاب وحدة لغوية ينتجها الباث (المتكلم)، تتجاوز أبعاد الجملة أو الرسالة، بحسب رأي (هاريس).

– هو وحدة لغوية تفوق الجملة تولد من لغة جماعية بحسب (بنفنست).

– مفهوم الخطاب يقابل مفهوم الملفوظ، في المدرسة الفرنسية، إذ أنهم يرون أن النظر إلى النص بوصفه بناء لغويا يجعل منه ملفوظا أما البحث في ظروف إنتاجه و شروطه فإنه يجعل منه خطابا.

– و هو نظير بنيوي لمفهوم الوظيفة، في استعمال اللغة، بحسب رأي (تودوروف).

فهو: أي منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راو و مستمع وعند الأول فيه نية التأثير في الآخر بطريقة معينة كما يقول (بنفنست) "[13]

في حين نجد أن عبد الهادي بن ظافر الشهري يعنيه من الخطاب الاصطلاح اللغوي، و يتبنى في ذلك وجهة نظر كل من (ديبورا شيفرن) و(جيفري ليتش) يقول:»حد الخطاب أنه كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا»[14]

وتعطي خلود العموش للخطاب تعريفاً تواصلياً، تقول:»نجد أن الخطاب كلمة تستخدم للدلالة على كل كلام متصل اتصالاً يمكنه من أن ينقل رسالة كلامية من المتكلم أو الكاتب»[15]

بينما في مفهوم أحمد المتوكل «يعد خطابا كل ملفوظ/مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات»[16] .

يمكن استقصاء ثلاثة أمور من هذا التعريف :[17]

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

أولا، تحييد الثنائية التقابلية جملة/خطاب حيث أصبح الخطاب شاملا للجملة،

ثانيا، اعتماد التواصلية معيارا للخطابية،

ثالثا، إقصاء معيار الحجم من تحديد الخطاب حيث أصبح من الممكن أن يعد خطابا نص كامل أو جملة أو مركب...

و مما سقناه يتضح أن الخطاب مفهوم أوسع و أشمل من الجملة، و إنما يتحدد معناه المفهومي بناء على التلفظ أو العلاقة بين طرفين: مخاطِب و مخاطَب،» فالخطاب في هذا الفهم ذو طابع كلي و شمولي، لا يتوقف على البعد اللساني وحده، و لا على البعد الاجتماعي و التاريخي الذي يعتبر النص انعكاسا لحركة الدلالة في التاريخ، كما لا يقتصر على البعد التداولي المعني بالتواصل في موقف محدد، و لكنه يمازج بين هذه الأبعاد نظرا و تطبيقا»[18].

غير أن أبي البقاء الكفوي في كلياته يعطي مفهوما يأخذ في حسبانه ما يزيد عن اللغة المنطوقة أو المكتوبة إلى الإشارات، يقول: «الخطاب: اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه احترز «باللفظ» عن الحركات والإشارات المفهمة بالمواضعة و»بالتواضع عليه» عن الألفاظ المهملة، و» بالمقصود به الإفهام» عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابا، وبقوله: «لمن هو متهيئ لفهمه» عن الكلام لمن لا يفهم كالنائم والكلام يطلق على العبارة الدالة بالوضع وعلى مدلولها القائم بالنفس، فالخطاب إما الكلام اللفظي أو الكلام النفسي الموجه نحو الغير للإفهام «[19].

و من هذا المنطلق، «فإن الخطاب يأخذ مفهومه بالنسبة إلى الوحدات اللسانية الأخرى كالتالي:

- بالنسبة إلى الجملة: يعتبر الخطاب وحدة فوق جملية.

- بالنسبة إلى الملفوظ: يشكل الخطاب وحدة تواصلية مجموعة بظروف إنتاج معينة و تشير إلى جنس معين من أجناس الخطاب، بينما النظر إلى النص من جهةٍ بنائه اللغوي يجعلنا نتكلم عن ملفوظ هو نتاج عملية التلفظ، بينما يكون تحليل ظروف إنتاج هذا النص حديثاً عن الخطاب.

- بالنسبة إلى النص: يعتبر النص خطاباً إذا نظرنا إليه مجموعاً مع سياق إنتاجه.

- بالنسبة إلى التلفظ: يعد التلفظ حاملاً نوعياً لسياق الخطاب، و على هذا فهو ضروري في اعتبار الملفوظ خطاباً»[20].

لا نحاول هنا أن نكون مفهوما شموليا للخطاب بالتوليف بين ما سبق إيراده ، لأن هذه المحاولة على وجاهتها ، تصد السبيل أمام مفاهيم أخرى ربما لم يتسع المجال لذكرها أو أن هناك مفاهيم تتبلور حول نفس القضية، غير أن مفهوم الخطاب يطرح انشغالا آخر عندما نأتي إلى مفهوم النص، فماهي العلاقة التي تربط بينهما؟ و هل الخطاب هو النص؟ و ما حدود تلاقيهما؟ وما الفرق بينهما إن اختلفا؟

2/ الخطاب و النص :

نال النقاش حول قضية الخطاب والنص نصيبا كبيرا في الدراسات المعاصرة، لأنها بالفعل إشكالية اصطلاحية في امتداد كل مفهوم من حيث المعنى، و على الرغم من المحاولات العديدة التي خاضها بعض الباحثين في إيجاد تخريج علمي لهذه القضية، و على وجاهة بعض هذه الآراء من الناحية المنطقية، إلا أن ذلك لم يحل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإشكال بصفة نهائية، و هذا راجع إلى اتسام المصطلحين بالطابع الجدلي بالدرجة الأولى، ثم اشتراكهما في كثير من الخواص، و راجع كذلك إلى الاستعمالات من قبل بعض الباحثين الذين لا يميزون بينهما أو أن التفريق ما بين هاذين المفهومين لا يعنيهما في فترة من الفترات، و لكن سنحاول أن نورد بعض الآراء التي تناولت محاولة التمييز ما بين الخطاب والنص.

وبما أننا حاولنا أن ننظر إلى الخطاب لغة و اصطلاحا في البند السابق ، فلا بأس في أن نذهب مباشرة إلى مدلول النص على جهة المفهوم، و قبل ذلك، لابد أولا أن نستدرج المعنى من الناحية المعجمية، يقول الفيروزآبادي في مادة (ن.ص.ص): «نص الحديث إليه: رفعه، و – ناقته : استخرج أقصى ما عندها من السير، و– الشيء: حركه، ومنه : فلان ينص أنفه غضبا، وهو نصاص الأنف، و– المتاع: جعل بعضه فوق بعض... ونصص غريمه وناصه: استقصى عليه و ناقشه»[21] .

ويقول الفيومي فيها «نصص : (نصصت) الحديث نصا من باب قتل رفعته إلى من أحدثه. ونص النساء العروس نصا رفعنها على المنصة وهي الكرسي الذي تقف عليه في جلائها..»[22].

وفي الأصل الغربي أي اللاتيني، فمعنى كلمة (نص) «في اللغات الأوربية، فإننا نجد كلمتي: texte’ text مشتقتين من (textus) بمعنى النسج (tissu) المشتقة بدورها من texere بمعنى نسج .» [23] .

ومعنى النص في التراث العربي يقصد به الرفع و الإظهار، و بحسب ما ينقله لنا شرشار عبد القادر فإن «معنى النص بقي محصورا في الدلالة على الكتاب والسنة، بالإضافة إلى دلالات أخرى، كـ: نص الشيء رفعه وأظهره، وإن كان حديثا أسنده إلى قائله، ونص الناقة استحثها بشدة، والشيء حركه»[24] .

النص اصطلاحا :

يحدده محمد الشاوش على اعتبارات ثلاثة – المنطلق فيها – الإجراء النحوي، فيقول:[25]

– النص باعتباره مصدرا يمكن أن يدل أصلا على الحدث غير مقترن بزمان و هو مؤهل نظرياً لأن ينتقل للدلالة على معنى الاسم شأنه في ذلك شأن سائر المصادر،

– النص عند النحاة القدامى لفظ دال على معنى الحدث لا يفارقه، و من أدلة ذلك عدم عثورنا على استعمالات عمدوا فيها إلى جمع النص على نصوص، باعتبار أن الجمع أفضل رائز للاستدلال على مفارقة المفردة لقسم المصادر وانتقالها إلى قسم الأسماء،

– النص عندنا اليوم: لفظ تمحض للاسمية ويدل على معنى الاسم لا يكاد يفارقه، و لك أن تستدل على ذلك ببعد استعماله مصدراً قائما على الإضافة اللفظية و عاملا في مفعول، كما في القول التالي : (نصّ الأستاذ على الأخطاء) بجعل كلمة نصّ رأس مركب شبه إسنادي قائم على عمل المصدر في المفعول .

و بالتالي فإننا نعتقد أن استعمالات النحاة لعبارة (النصّ) كتلك التي وردت فيما نقلناه من أقوالهم لا يمكن أن تركب مطية للاستدلال على استعمال هذه المفردة بالمعنى الذي أصبحنا نستعملها به اليوم .

و مما اصطُلِح عليه لدى الأصوليين مصطلح النص، و قسموه إلى ما لا يقبل التأويل و هو النص، وإلى ما يقبل التأويل وهو الظاهر و»يفرق الغزالي بين مفهوم النص باعتبار دلالته قطعية لا تحتمل التأويل والظاهر هو التأويل. وهكذا يبين أن الخطاب القرآني يتكون من صيغتين هما : النص والظاهر. ويقول لتوضيح المفهوم الثاني (كما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورد عند الشافعي): وتسمية الظاهر نصا منطبق على اللغة، لا مانع في الشرع منه، إذ معنى النص قريب من الظهور. ولكي يوضح الغزالي الفرق بين النص و الظاهر، كما يؤولهما عند الشافعي، فإنه يوضحهما بمفهومين بلاغيين حيث يقول : قال الأستاذ أبو إسحاق: الظاهر هو المجاز، والنص هو الحقيقة... يمكن أن نعتبر عرض أبي حامد الغزالي لمفهوم النص في كتابه المنخول مقدمة ليعرض مفهومه الخاص للنص في كتابه المستصفى، حيث يعرفه بقوله : النص اسم مشترك يطلق في تعارف العلماء على ثلاثة أوجه :

- الأول: ما أطلقه الشافعي رحمه الله ، فإنه سمى الظاهر نصا و هو منطبق على اللغة..
- الثاني: وهو الأشهر، ما لا يتطرق إليه احتمال لا عن قرب ولا عن بعد..
- الثالث: التعبير بالنص عما لا يتطرق إليه احتمال مقبول يعضده دليل «[26]

هذا ولكي يزيد علماء الأصول في تفصيل المصطلح، فقد وزعوه على محورين: "محور الوضوح ويتكون من أربعة مفاهيم ومحور الغموض ويتألف هو أيضا من أربعة مفاهيم:

ومفاهيم محور الوضوح هي : الظاهر/النص /المفسر/المحكم.

أما مفاهيم محور الغموض فهي: الخفي/المشكل/المجمل/المتشابه. "[27]

أما الغربيون من المنظرين فلهم وجهات متباينة في تعريف النص، و هم في ذلك ثلاثة أقسام:

« – يذهب جماعة منهم إلى تعريفه مباشرة من خلال مكوناته، يمثلهم (تودوروف) فالنص في رأيه نظام تضميني نستطيع التمييز بين مكوناته على ثلاثة أوجه: ملفوظي، ونحوي، ودلالي وهو يوازي النظام اللغوي و يتداخل معه.

– وقسم ثان يعرفه من خلال ارتباطه مع الإنتاج الأدبي، ويمثله (رولان بارت) الذي وجد عند (جوليا كريستيفا) تعريفا جامعا أو أصوليا، فالنص : آلة نقل لساني وإنه يعيد توزيع نظام اللغة فيضع الكلام التواصلي أي المعلومات المباشرة، في علاقة تشترك فيها ملفوظات سابقة أو متزامنة ومختلفة، فالنص بهذا المعنى فعالية كتابية ينضوي تحتها كل من الكاتب والقارئ، و قبل ذلك قدم مفهوما للنص وسمه بأنه تقليدي وشائع و مؤسسي، فهو نسيج من الكلمات المنظومة في التأليف والمنسقة بشكل ثابت، أهم مهماته أنه يضمن بقاء الشيء المكتوب، وهو مرتبط تاريخيا بعالم بأكمله من النظم (القانون والدين والأدب والعلم)

– وأخيرا يذهب قسم ثالث إلى ربطه بفعل الكتابة يمثله: (بول ريكور) وهو منظور إيصالي فالنص هو كل خطاب تثبته الكتابة، إذ هو أداء لساني وإنجاز لغوي يقوم به فرد معين "[28] .

ويعرفه عبد المالك مرتاض في أن " الأصل في مدلول الوضع اللغوي للنص هو الرفع والإظهار وبلوغ الغاية في الشيء. ولم نعثر على نصوص شعرية أو نثرية موثوقة تفيد المعنى المتداول على عهدنا هذا إلا ما كان أورده ابن منظور من أن الفقهاء كانوا يقولون (نص القرآن و نص السنة، أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام)."[29]

ويتناول محمد مفتاح النص من حيث خصائصه اللسانية إذ يقول:»أهم ضابط للنص هو الانسجام وهو يضم عدة عناصر. وفي هذا المفهوم خلاف و يمكن أن نتكلم عن مفهوم الاتساق و مفهوم التنضيد. فمفهوم التنضيد هو المرحلة الأولى أي العلاقة بين الجمل: واو العطف، فاء السببية إلى غير ذلك: ارتباط الكلام بعضه ببعض و

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تراصه .

و نقصد بمفهوم الاتساق العلاقة المعنوية بين الجمل علاقة عموم بخصوص أو علاقة تضمن. و مفهوم الانسجام هو أعم، انسجام النص مع العالم الواقعي. إذ إن كل نص هو متتالية من الأفعال الكلامية المترابطة.»[30] .

و تعرفه خلود العموش بقولها : « أن النص هو كل كلام متصل ذو وحدة جلية تنطوي على بداية و نهاية، و يتسم بالتماسك و الترابط، و يتسق مع سياق ثقافي عام أدرج فيه، و ينسجم مع سياق خاص أو مقام يتعلق بالعلاقات القائمة بين القارئ و الواقع من خلال اللغة، و بين بداية النص و خاتمته مراحل من النمو القائم على التفاعل الداخلي، و هذا التفاعل يؤدي بالنص إلى إحداث وظيفته التي تتمثل في خلق التواصل بين منتج النص ومتلقيه»[31].

الفرق ما بين النص والخطاب :

نبدأ بمن يسوون ما بين النص والخطاب، أي أنه لا يوجد فرق بين النص والخطاب في رأيهم إلا في لفظ المصطلح، ومن هؤلاء محمد عابد الجابري يقول: «النص رسالة من الكاتب إلى القارئ فهو خطاب... الخطاب باعتباره مقول الكاتب – ...– هو بناء الأفكار (..) يحمل وجهة نظر... فالخطاب من هذه الزاوية إذا كان يعبر عن فكرة صاحبه فهو يعكس أيضا مدى قدرته على البناء»[32]

أما غريماس وكورتاس فلهما وجهة نظر مختلفة فـ: «النص يرتبط بالكتابي (التشكيلي) والخطاب بالشفوي (الصوتي)، إذ يقولان: بوصفه ملفوظا فإن النص يتعارض مع الخطاب وذلك تبعا لمضمون التعبير – غرافيكي (تشكيلي) أو صوتي – المستعمل بغرض إظهار الإجراء اللساني. حسب بعض علماء اللسانيات (ر. ياكبسون) فإن التعبير الشفوي وبالتالي الخطاب هو الحدث الأول للكتابة التي تصبح مجرد مشتق وترجمة للتجلي الشفوي «33 .

بينما يذهب فان دايك إلى علاقة سببية في أن الآلية النظرية للخطاب هي النص، بينما الخطاب منتوج شفوي ناشئ من فاعلية النص، «فإنه يميز تمييزا دقيقا بين النص والخطاب، إذ أن الخطاب هو عملية الإنتاج الشفوية و نتيجتها الملموسة، أما النص فهو مجموع البنيات الآلية التي تحكم هذا الخطاب. و بتعبير آخر، فإن الخطاب ملفوظ (أو تلفظ) ذو طبيعة شفوية لها خصائص نصية... بينما النص هو الشيء المجرد و الافتراضي الناتج عن لغتنا العلمية»[34].

وهناك من الباحثين من يقول بالعلاقة الاحتوائية ما بين النص والخطاب، ومن هؤلاء الباحثين تمام حسان الذي يقول «أن الخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة أي أنه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق. و إذا كان عالم النص هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة و المنشطة بعد الاختزان في الذاكرة من خلال استعمال النص فإن عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما»[35] .

و تذهب خلود العموش تقريباً إلى نفس هذا التوجه، عندما تقول: «و ليس كل خطاب نصا و إن كان كل نص بالضرورة خطابا، فالكلام المتصل خطاب، و لكنه لا يكون نصا إلا اكتمل ببداية و نهاية و عبر عن موضوعه ببناء متماسك منسجم»[36].

ويقول فرحان بدري الحربي: «إن الخطاب يبنى على موضوع، و هذا الموضوع لابد أن يكون مفهوما و إلا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بطل أن يكون خطابا، إذا فهناك بنية متعالقة تشمل الخطاب القائم على الموضوع هذه البنية تؤدي إلى الفهم و هو ما يؤلف حوارا .

والحوارية في مفهومها الضيق، أحد أشكال تكوين الخطاب وهي تمثل حياة النصوص و علاقاتها في داخل الخطاب، و هي تختلف عن العلاقات الألسنية التي توجد بين العناصر داخل نظام اللغة أو في الكلام المنطوق معزولا «[37].

ولكن الاتفاق الحاصل ما بين الآراء في الغالب، هو أن الخطاب يكون دائما في مستوً أوسع من النص، ربما لأن النص كانت إجراءاته نصية محايثة تقصي الخارج (السياق الخارجي)، و الخطاب إجراءاته تداولية يعتبر السياق من أهم إجراءاته، و نقصد هنا بالسياق: السياق الخارجي، و ليس السياق اللغوي.

4 – تعدد الخطابات :

يعد الخطاب منفلت من إمكان التحديد، و هذه الخاصية جعلته متعددا و متنوعا، إذ الخطاب خطابات في جميع الأعراف النقدية ولذلك « نجدنا أمام تنوع وتعدد الخطابات الشفوية التي تمتد من المخاطبة اليومية إلى الخطبة الأكثر صنعة و زخرفة. وإلى جانب الخطابات الشفوية نجد أيضا كتلة من الخطابات المكتوبة التي تعيد إنتاج الخطابات الشفوية و تستعير أدوارها و مراميها من المراسلات إلى المذكرات و المسرح و الكتابات التربوية.. «[38]، و ربما هذا التنوع مدعاة لنشوء هذا الكم الكبير من الخطابات النقدية حول مدونة الخطاب مهما كان نوعه .

ويتناول الشهري هذا التعدد الخطابي بأسلوب الإستراتيجيات إذ يقول:»يتجلى هذا التنظيم عند التلفظ بالخطاب، في ما يسمى بإستراتيجية الخطاب و هذا يعني أن الخطاب المنجز يكون خطابا مخططا له، بصفة مستمرة و شعورية. و من هنا، يتحتم على المرسل، أن يختار الإستراتيجية المناسبة، التي تستطيع أن تعبر عن قصده... و تتدخل عناصر السياق الاجتماعية في تحديد استعمالات اللغة، و في انتشار بعض الإستراتيجيات على حساب انحسار البعض الآخر»[39].

أما من حيث أنواع الخطابات، فلا يمكن بأي حال، أن نحصر الخطابات في أنماط مخصوصة ومقاييس واضحة، وهذا راجع كما قد ذكرنا إلى أن هناك ما لا نهاية من الخطابات، و لكن البعض، و لحاجة في سياق تناولهم الأكاديمي ، حاولوا أن يحددوا نوع الخطاب ، مثل تناول منذر عياشي على لسان فرحان بدري الحربي يقول: « وهكذا يمكن تحديد نوع الخطاب، فهناك نوعان من الخطاب الأول إيصالي، والآخر إبداعي، مدار الدرس في الأول يقوم حول سؤالين، ماذا يقول الخطاب؟ من ذا الذي يقول؟ أما الآخر فإن الدرس يدور فيه حول سؤال واحد هو كيف يقول الخطاب ما يقول؟ «[40].

وهناك من يميز بين خطاب يكون في خانة النقد، و خطاب آخر يكون في خانة الأدب، و مثال ذلك تزفيتان تودوروف إذ الخطاب عنده نوعان:»خطاب نقدي وخطاب أدبي. أما الخطاب النقدي فهو الممارسة التي يكون فيها الناقد كالمنجز لا يستطيع أن يتحدث إلا خطابا مثقوبا، و هي مرحلة يظهر فيها تحويل الأنا إلى علاقة، حيث ما يبقى له سوى أن يصمت عبر نوع من الدرجة الصفر للمتكلم... أما الخطاب الأدبي و الشعري خصوصا، فهو من منظور التواصلية خطاب يهدف إلى التعبير»[41].

غير أن هذه الرؤية ليست لازمة في التحديد، لأنه بإمكاننا القول أيضا: خطاب قانوني وخطاب غير قانوني، وخطاب سياسي وخطاب غير سياسي، وخطاب تفسيري وخطاب غير تفسيري ولذلك ننوه بأن الخطاب باعتباره

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مدونة عامة لا يمكن تصنيفها، لتعددها اللانهائي، وإنما يمكن عن طريق المحاولة، أن نميز فيه جزئيا لحاجة الدرس، باصطناع مقياس معين في ذلك.

ويمكن أن يكون رأي المتوكل رأيا ذا منطقية في هذا الشأن يقول: «يقترح التنميط التقليدي المتوارث للخطابات تصنيفا منطلقا فيه من أحد المعايير التالية: الموضوع والآلية والبنية.

1/ تصنف الخطابات من حيث موضوعها إلى خطاب ديني، و خطاب علمي وخطاب أيديولوجي أو سياسي...

2/ وتصنف الخطابات من حيث بنيتها داخل ما يسمى "الخطاب الفني" (الإبداعي، الأدبي) إلى قصة ورواية وقصيدة شعر وغيرها.

3/ أما من حيث الآلية المشغلة فيميز بين الخطاب السردي والخطاب الوصفي والخطاب الحجاجي.

إن الأمر الذي يجب أن لا يغفل عن ذكره عندما يتصل الأمر بتعدد الخطابات، بأن تعدد أجناس الخطاب هو تعدد لانهائي"24 ، و يرجع هذا إلى الظروف التواصلية المختلفة و كذا سياقاتها الاجتماعية والتاريخية، وإلى الآراء المختلفة حوله.

الهوامش

1 أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري– الصحاح، ص : 327 .
2 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي – القاموس المحيط، ص : 478 .
3 أحمد بن محمد بن علي الفيومي– المصباح المنير ، تح : يحيى مراد ، مؤسسة المختار ، ط 01 ، مصر ، 2008 ، ص: 106 .
4 عبد القادر شرشار – تحليل الخطاب الأدبي، منشورات دار الأديب ، درط ، وهران ، 2006، ص : 11 .
5 عبد الهادي بن ظافر الشهري – إستراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط 01 ، لبنان ، 2004 ، ص: 34 ، 35 .
6 عبد القادر شرشار – تحليل الخطاب الأدبي، ص : 11 .
7 مهى محمود إبراهيم العتوم– تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2004، ص: 20 .
8 Emile Benveniste– Problémes de linguistique générale'T1'Edi Gallimard' Paris' 1966' P:240–241.
9 رابح بوحوش – الأسلوبيات و تحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار ، درط ، عنابة ، 2006 ، ص: 71 .
10 سعيد يقطين – تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي ، ط 04 ، المغرب ، 2005 ، ص: 26 .
11 المرجع نفسه، ص : 17 .
12 المرجع نفسه، ص: 19 .
13 فرحان بدري الحربي– الأسلوبية في النقد العربي الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط 01 ، لبنان ، 2000 ، ص: 39 ، 40 .
14 عبد الهادي بن ظافر الشهري – إستراتيجيات الخطاب، ص : 39 .
15 خلود العموش – الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث ، ط 01 ، الأردن ، 2008 ، ص: 24 .
16 أحمد المتوكل – الخطاب و خصائص اللغة العربية، منشورات الاختلاف، ط01، المغرب، 2010 ، ص: 24 .
17 السابق، ص : 24 .
18 محمد عبد الباسط عيد – النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، ص : 17 .
19 أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي– الكليات، ص : 419 .
20 محمود طلحة– تداولية الخطاب السردي، عالم الكتب الحديث، ط 01، الأردن، 2011، ص: 18 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

21 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي – القاموس المحيط، ص: 1615 ، 1616 .
22 أحمد بن محمد بن علي الفيومي– المصباح المنير، ص: 369 .
23 عبد القادر شرشار – تحليل الخطاب الأدبي، ص : 19 .
24 المرجع نفسه، ص: 19 .
25 محمد الشاوش – أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ج1، كلية الآداب منوبة ، ط 01 ، تونس ، 2001 ، ص: 186 .
26 حسين خمري – نظرية النص، ص : 138 ، 139 .
27 السابق، ص : 145 .
28 فرحان بدري الحربي – الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص: 38 .
29 حسين خمري– نظرية النص، ص : 45 .
30 السابق، ص: 48 .
31 خلود العموش – الخطاب القرآني، ص: 22 .
32 محمد عابد الجابري– تحليل الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة ، ط 01 ، بيروت ، 1985، ص: 60 .
33 حسين خمري– نظرية النص، ص: 59 ، 60 .
34 المرجع نفسه، ص: 60 .
35 روبرت دي بوجراند– النص و الخطاب و الإجراء (مقدمة المترجم : تمام حسان) ، عالم الكتب ، ط 02 ، القاهرة ، 2007، ص: 06 .
36 خلود العموش – الخطاب القرآني، ص : 24 .
37 فرحان بدري الحربي– الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص : 44 .
38 سعيد يقطين– تحليل الخطاب الروائي، ص : 19 .
39عبد الهادي بن ظافر الشهري– إستراتيجيات الخطاب، ص : 56 .
40 فرحان بدري الحربي– الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص : 44 .
41 رابح بوحوش – الأسلوبيات و تحليل الخطاب، ص : 88 .
42 J.M.Adam– linguistique textuelle des genres de discours aux textes'Nathan' 1éd' Paris'1999' P:93.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com